

الدعوة الصامدة

المؤلف: الدكتور/ أحمد محمد زين المتأowi

التاريخ: 15/05/2018

القدوة الحسنة.. أهم وسائل الدعوة إلى الإسلام..

دول كاملة دخلها الإسلام.. بالقدوة.. من خلال التعامل المباشر مع المسلم..

للوهله الأولى.. لا مجال أمام غير المسلم للانجداب إلى الإسلام أو النفور منه غير التعامل مع المسلم..

برغم أن الإسلام هو الحجة على المسلم.. وليس المسلم هو الحجة على الإسلام..

قصتنا هذه خير دليل على ذلك..

"قال لي صديق عربي مسلم تزوجت من امرأة أوروبية نصرانية، وعقب ثلاثة عقود من زواجي بها سألني أفراد أسرتي في استنكار: كيف عجزت عن إدخالها الإسلام وقد أصبح لك منها أحفاد؟! أجبتهم قائلاً: الحقيقة أقنعتها بالإسلام من خلال تعريفها لها بعقيدتي فقررت أن تسلم، لكن عندما قابلتكم ورأيتم سلوككم قالت لي: لو كان هؤلاء هم المسلمين من الأفضل أن أظل على نصرانيتي !!!"

بدأت القصة بهذه المقدمة لأن بطلها أستاذ نصراني دخل الإسلام لإعجابه بالسلوك الحميد لتلاميذه من أبناء المسلمين.. وعندما سأله عن السر الكامن وراء هذا السلوك أجابوه بأنه الإسلام، وعندما استغرب الإجابة لأنه التقى مسلمين سلوكهم لا يسر، أفادوه بأن هناك فرقاً بين ما يحتوي عليه الإسلام من قيم ومبادئ ومثل عليا، وحال السود الأعظم من المسلمين اليوم، مؤكدين له أن هناك كثيراً من المسلمين يطبقون تعاليم الإسلام وقيمه النبيلة في حياتهم وسلوكيهم بدرجة تعكس الصورة الصحيحة لما يجب أن يكون عليه المسلم.. فدعونا نبحر في قصة إسلام هذا الأستاذ النصراني الذي أرشده تلاميذه إلى طريق الحق!

ولد مانيفرد كوبسيل في عام 1937م في مدينة برلين لوالدين ألمانيين يعتقدان الديانة المسيحية.. وعندما بلغ الثانية من عمره حصدت الحرب العالمية الثانية أرواح جميع أفراد أسرته الصغيرة فتركوه وحيداً على قارعة الحياة.. أسرة بديلة حن قبلها على هذا اليتيم الصغير فاحتضنته في حنو، وربته وسط أبنائها حتى حصل على الشهادة الثانوية العامة في عام 1955م.. عقب ذلك انتقل مانيفرد إلى مدينة برلين الغربية ومنها انتقل إلى بلجيكا، حيث التحق بكلية المعلمين التي قضى فيها عامين.. وفي عام 1957م عاد مانيفرد إلى بلاده وعمل فيها أربع سنوات ثم انتقل بعدها في عام 1961م إلى تركيا التي تعاقد فيها مدرساً للغة الألمانية في كلية أتاتورك بلواء الإسكندرية.. وفي عام 1963م غادر مانيفرد تركيا، وسافر إلى تونس، حيث كان يعمل ويعيش بها أحد أبناء الأسرة البديلة التي ربته في طفولته

في تونس افتتح مانيفرد مدرسة لتعليم اللغات.. سبعة طلاب تونسيين من عائلة مسلمة عريقة الحسب والنسب التحقوا بمدرسة مانيفرد.. أخلاقيهم العالية وسلوكيهم الرفيع وذكاؤهم الحاد لفت انتباه بطل قصتنا؛ فسألهم في انبهار: من أين لكم هذا الخلق المميز؟! أجابوه جميعهم: من الإسلام أستاذنا الفاضل، فنحن مسلمون.. أفادهم متتعجباً بأنه التقى العديد من المسلمين في أوروبا وتركيا ولم تعجبه أخلاقهم أبداً.. شرح له تلاميذه الأمر بأن على المرء المنصف التفرقة بين ما يتضمنه الإسلام من قيم ومبادئ ومثل عليا، وما هو عليه حال المسلمين اليوم؛ إذ إن الكثيرين لا يطبقون هذه القيم في حياتهم مثل أولئك الذين التقاهم.. ثم أكدوا له أن هناك الكثير من المسلمين الذين يطبقون تعاليم الإسلام وقيمه النبيلة في حياتهم وسلوكيهم، وبالتالي يمثلون القدوة الحسنة لما يجب أن يكون عليه حال المسلم الحقيقي المتمسك بتعاليم دينه

أصيب مانيفرد بالذهول فجهله بالإسلام لم يكن ليتيح له التعرّف إلى حقيقة قيمه ومبادئه، وعليه فقد طلب من تلاميذه أن يحدثوه عن عقيدة الإسلام التي استمدوا منها هذه الأخلاق الرفيعة

شرح التلاميذ لأستاذهم حقيقة أن الإسلام هو آخر الرسالات السماوية حيث به يكتمل الدين، وبنبيه تختتم النبوة، كما وضحوا له أن رسالته -على عكس الرسالات السابقة- موجهة لكل الشعوب، ثم بينوا له أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على عبده رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-.. وأكثر من هذا تطوع أحد التلاميذ بإهدائه نسخة من القرآن الكريم الذي تقبلها ولسانه يلهج بالشكر.. لكن عندما استدرك حقيقة أنه لا يعرف اللغة العربية، أكد لهم أنه سوف يرسل طلباً إلى ألمانيا ليرسلوا له نسخة من معاني القرآن الكريم مترجمة باللغة الألمانية

وما أن جاءته النسخة التي طلبتها من ترجمة معاني القرآن الكريم فتسلّمها في حماسة أملاً أن يجد الفرصة المناسبة ليطلع عليها غير أن

مشاغل الحياة صرفته عن نيته الصادقة حتى كان ذلك اليوم!

في يوم الاحتفال برأس السنة الميلادية لعام 1966م، ذهب مانيفرد مع ابن الأسرة البديلة التي ربيته إلى الحفل السنوي الذي يقيمه النصارى نهاية كل عام.. لقد اعتاد في هذه المناسبة أن يحتسي كميات مهولة من الخمر، لكنه هذه المرة وما كاد يرتشف من كأسه رشفتين اثنتين حتى أصيب بألم شديد أدخله في غيبوبة.. عندما أفاق من غيبوبته وجد نفسه طريح الفراش بالمنزل حيث نقله رفيقه الذي أخبره أنه أمضى ليلة كاملة في غيبوبة، وأن الطبيب نصّح ببقاءه في الفراش إلى حين استرداده لصحته

لتمضية الوقت شعر برغبة شديدة في القراءة.. تلقت حوله فوجء بصره على ترجمة معاني القرآن الكريم التي أرسلت له من ألمانيا.. فأمسك بالكتاب وشرع في القراءة.. وجد نفسه يقرأ الترجمة في لهم عجيب.. قضى يومين كاملين في قراءة معاني القرآن الكريم، وما كاد ينتهي من قراءته حتى أحس بروح جديدة تسرى في أوصاله، كما شعر بها تفاصيل غامضة يهتف في داخله بأنه مسلم ولا علاقة له بالنصرانية من قريب أو بعيد.. فقد توصل إلى حقيقة جلية مفادها أن الإسلام هو دين الحق فقصد على عجل سماحة مفتى الجمهورية التونسية -آنذاك- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ونطق أمامه بالشهادتين معلناً إسلامه ومغيراً اسمه إلى "أحمد عبدالله كوبسيل".

أول قرار اتخذه أحمد عبدالله عقب إسلامه طلب العلوم الشرعية ليتفقه في دينه الجديد ولكي يؤهل نفسه حتى يصبح أحد دعاة الإسلام.. بدأ الخطوة الأولى ببيع مدرسته الخاصة حتى يتفرغ لطلب العلم وأنعم به من بيع رابح

وفي العام الدراسي 1968/1967م التحق أحمد عبدالله كوبسيل بالجامعة الإسلامية في الدار البيضاء.. وعندما شعر أنه لم يوفق فيها على النحو الذي كان يأمله، غادر إلى مصر ليتحقق بالجامعة الأزهرية لاعتقاده أن الدراسة فيها دينية بحثة.. لكن عندما وجدها تدرس إلى جانب العلوم الإسلامية علوماً عصرية تركها وغادر إلى باكستان حيث التحق بـ"معهد العليمية" التابع للاتحاد العالمي للدعوة الإسلامية في مدينة أبوت آباد القريبة من كراتشي

إقامة أحمد عبدالله كوبسيل في أبوت آباد أفادته كثيراً من ناحيتين: تمثل الناحية الأولى في أن سكان المدن الصغيرة يكونون أقرب إلى الفطرة من سكان المدن الكبرى، ما جعل حماستهم للإسلام، وحسن فهمهم له يسهمان في مساعدته كثيراً على تعرف العديد من الجوانب المضيئة للعقيدة الإسلامية عبر المواقف العملية ومن خلال نموذج القدوة الذي وجده من قبل في تلاميذه التونسيين.. أما الناحية الثانية في استفادة بطل قصتنا من إقامته بمدينة أبوت آباد فتمثل في لقائه بالداعية الألماني المسلم الدكتور علاء الدين شلبي، حيث أثار لقاوهما عن إنشائهما مركزاً للدعوة الإسلامية في أبوت آباد، يضم معهداً لتدريب المعلمين، وداراً لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين

وهكذا أثر لقاء كل من نموذج القدوة الحسنة في التلاميذ التونسيين وفطرة أحمد عبدالله السليمة في دخوله الإسلام وتحوله من أستاذ نصراني يعاشر الخمر ويرتكب كل صنوف المعاصي إلى داعية إسلامي يعيش القرآن ويدمن مساعدة المسلمين والمسلمات

ثم.. في هذه القصة.. من كان التلميذ؟!.. ومن كان الأستاذ؟!..

سبحان من بيده الهدى.. سبحان من يصيّر التلميذ أستاذًا لأستاذ له يهديه إلى الطريق المستقيم!!

إنه الإسلام.. إنه الإيمان الحقيقي!

اسأوا الله الهدية.. فبالله نهتدي إلى الله

المصادر:

الألفي، أسامة (2005): لماذا أسلموا؟ القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

عبد الصمد، محمد كامل (1995): الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء؛ ثلاثة أجزاء؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر

عثمان، محمد عثمان (2004): لم أسلم هؤلاء الأجانب؟ (ثلاثة أجزاء)؛ سوريا: حلب: دار الرضوان

مجلة الفيصل؛ الداعية أحمد عبدالله كوبسيل: نداء الحق لباه في تونس؛ العدد 231/السنة 1416هـ.